هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، لأن المعنى عندهما حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله لإيلاف قريش أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين ، وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام في المتاجرة وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله ، فمن عرفهم احترمهم بل من صوفي إليهم وسار معهم آمن بهم ، وهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم ، وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى : ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾ ﴿لإيلاف قريش إيلافهم﴾ بدل من الأول ومفسر له ولهذا قال تعالى ﴿إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ وقال ابن جرير : الصواب أن اللام لام التعجب كأنه يقول اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك ، قال وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان .

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : ﴿فليعبدوا رب هذا البيت﴾ أي فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً كما قال تعالى : ﴿قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ وقوله تعالى : ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ أي هو رب البيت ، وهو الذي أطعمهم من جوع ﴿وآمنهم من خوف﴾ أي تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لاشريك له ، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً ، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبهما منه كما قال تعالى : ﴿ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾ ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن عمرو الغزي حدثنا قبيص حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «ويل لكم قريش لئلاف قريش ثم قال حدثنا أبي حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني حدثنا عيسى يعني ابن يونس عن عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف» هكذا رأيته عن أسامة بن زيد وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن أم سلمة الأنصارية رضي الله عنها فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية والله أعلم .

سُورَةُ الماعُونِ

ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى : أرأيت يا محمد الذي يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب ﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ كما قال تعالى : ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ يعني الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته ، ثم قال تعالى : ﴿فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ قال ابن عباس وغيره : يعني المنافقين الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر ولهذا قال : ﴿للمصلين﴾ الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس ، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكلية ، كما قاله مسروق وأبو الضحى .

وقال عطاء بن دينار : الحمد لله الذي قال ﴿عن صلاتهم ساهون﴾ ولم يقل في صلاتهم ساهون ، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها

والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ولكن من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ؛ ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملي كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً» فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى كما ثبت به النص إلى آخر وقتها ، وهو وقت كراهة ، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب لم يطمئن ولا خشع فيها أيضاً ، ولهذا قال لا يذكر الله فيها إلا قليلاً ، ولعله إنما حمله على القيام إليها مراآة الناس لا ابتغاء وجه الله ، فهو كما إذا لم يصل بالكلية . قال الله تعالى : ﴿**إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً**﴾ وقال تعالى ههنا : ﴿**الذين هم يراءون**﴾ .

وقال الطبراني : حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد ربه البغدادي ، حدثني أبي ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن يونس عن الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «إن في جهنم لوادياً تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله وللمصدق في غير ذات الله وللحاج إلى بيت الله وللخارج في سبيل الله» وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوساً عند أبي عبيدة ، فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بأبي يزيد : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله ﷺ : من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره» ورواه أيضاً عن غندر ويحيى القطان عن شعبة عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ فذكره ، ومما يتعلق بقوله تعالى : ﴿**الذين هم يراءون**﴾ أن من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك أن هذا لا يعد رياء ، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده ، حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا مخلد بن يزيد ، حدثنا سعيد بن بشير ، حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت أصلي فدخل علي رجل فأعجبني ذلك ، فذكرته لرسول الله ﷺ فقال «كتب لك أجران : أجر السر وأجر العلانية» .

قال أبو علي هارون بن معروف بلغني أن ابن المبارك قال نعم الحديث للمرائين ، وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وسعيد بن بشير متوسط ، وروايته عن الأعمش عزيزة ، وقد رواه غيره عنه ، قال أبو يعلى أيضاً : حدثنا محمد بن المثنى بن موسى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو سنان عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل : يارسول الله الرجل يعمل العمل يسره ، فإذا اطلع عليه أعجبه قال قال رسول الله ﷺ «له أجران أجر السر وأجر العلانية» وقد رواه الترمذي عن محمد بن المثنى وابن ماجة عن بندار كلاهما عن أبي داود الطيالسي عن أبي سنان الشيباني ، واسمه ضرار بن مرة ، ثم قال الترمذي غريب وقد رواه الأعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح مرسلاً .

وقد قال أبو جعفر بن جرير : حدثني أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام عن شيبان النحوي عن جابر الجعفي ، حدثني رجل عن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ قال : «الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرج خير صلاته وإن تركها لم يخف ربه» فيه جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه مبهم لم يسم ، والله أعلم . وقال ابن جرير أيضاً : حدثني زكريا بن أبان المصري ، حدثنا عمر بن طارق ، حدثنا عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال : سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها» قلت : وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعاً وتأخيرها عن أول الوقت ، وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن عكرمة بن إبراهيم به ، ثم رواه عن أبي الربيع عن جابر عن عاصم عن مصعب عن أبيه موقوفاً : سهواً عنها حتى ضاع الوقت ؛ وهذا أصح إسناداً وقد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم .

وقوله تعالى : ﴿**ويمنعون الماعون**﴾ أي لا أحسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ، ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم ، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القرابات أولى وأولى ، وقد قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال علي : الماعون الزكاة ، وكذا رواه السدي عن أبي صالح عن علي ، وكذا روي من غير وجه عن ابن عمر ، وبه يقول محمدابن الحنفية وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء وعطية العوفي ، والزهري والحسن وقتادة والضحاك وابن زيد ، قال الحسن البصري : إن صلى راءى وإن فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله ، وقال زيد بن أسلم : هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها ، وخفيت الزكاة فمنعوها . وقال الأعمش وشعبة عن الحكم عن يحيى بن

الخراز أن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون فقال : هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر . وقال المسعودي عن سلمة بن كهيل عن أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود عن الماعون فقال : هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن أبي العبيدين وسعد بن عياض عن عبد الله قال : كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر لا يستغنى عنهن ، وحدثنا خلاد بن أسلم ، أخبرنا النضر بن شميل ، أخبرنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي ﷺ مثله وقال الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد عن عبد الله أنه سئل عن الماعون فقال : ما يتعاوره الناس بينهم الفأس والدلو وشبهه وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي الفلاس ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال : كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول الماعون منع الدلو وأشباه ذلك . وقد رواه أبو داود والنسائي عن قتيبة عن أبي عوانة بإسناده نحوه ولفظ النسائي عن عبد الله قال : كل معروف صدقة ، وكنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال : الماعون العواري القدر والميزان والدلو . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ﴿ويمنعون الماعون﴾ يعني متاع البيت ، وكذا قال مجاهد وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وأبو مالك وغير واحد إنها العارية للأمتعة ، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال : لم يجيء أهلها بعد : وقال العوفي عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال : اختلف الناس في ذلك فمنهم من قال يمنعون الزكاة ، ومنهم من قال يمنعون الطاعة ، ومنهم من قال يمنعون العارية ، رواه ابن جرير ثم روى عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن علية عن ليث بن أبي سليم عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي الماعون منع الناس الفأس والقدر والدلو ، وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والإبرة ، رواه ابن أبي حاتم وهذا الذي قاله عكرمة حسن ، فإنه يشمل الأقوال كلها وترجع كلها إلى شيء واحد ، وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ، ولهذا قال محمد بن كعب ويمنعون الماعون قال : المعروف . ولهذا جاء في الحديث «كل معروف صدقة» .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن الزهري ﴿ويمنعون الماعون﴾ قال بلسان قريش: المال وروى ههنا حديثاً غريباً عجيباً في إسناده ومتنه فقال : حدثنا أبي وأبو زرعة قالا ، حدثنا قيس بن حفص الدارمي ، حدثنا دلهم بن دهيم العجلي ، حدثنا عائذ بن ربيعة النميري : حدثني قرة بن دعموص النميري أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله ما تعهد إلينا ! قال «لا تمنعوا الماعون» قالوا : يارسول الله وما الماعون ؟ قال «في الحجر وفي الحديدة وفي الماء» قالوا : فأي الحديدة ؟ قال «قدوركم النحاس وحديد الفأس الذي تمتهنون به» قالوا : ما الحجر ؟ قال «قدوركم الحجارة» غريب جداً ورفعه منكر ، وفي إسناده من لا يعرف والله أعلم . وقد ذكر ابن الأثير في الصحابة ترجمة علي النميري فقال : روى ابن مانع بسنده إلى عامر بن ربيعة بن قيس النميري عن علي بن فلان النميري ، سمعت رسول الله ﷺ يقول «المسلم أخو المسلم إذا لقيه جاء بالسلام ويرد عليه ماهو خير منه لا يمنع الماعون» قلت : يارسول الله ما الماعون ؟ قال «الحجر والحديد وأشباه ذلك» والله أعلم . آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة .

سُورَةُ الكَوثَرِ

ترتيبها ١٠٨ — آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال : أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة ، فرفع رأسه متبسماً إما قال لهم وإما قالوا له : لم ضحكت ؟ فقال رسول الله ﷺ «إنه أنزلت علي آنفاً سورة» فقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر﴾ حتى ختمها فقال «هل ترون ما الكوثر ؟» قالوا : الله ورسوله أعلم .